المحاضرة الثالثة

جامعة الانبار / كلية التربية للعلوم الانسانية - قسم التاريخ / الدراسات العليا /دراسات في تاريخ المغرب والاندلس/ أستاذ المادة : د. عثمان عبدالعزيز صالح

محتويات المحاضرة ....

مرحلة تحرير المغرب الاسلامي المنظم من سنة ٥٠ وحتى سنة ٩٠ هـ:

لقد كانت ولاية عقبة بن نافع لأفريقية سنة ٥٠هـ/٦٧٠م حداً فاصلاً بين عهدين، الأول بدأ بجهود عمرو بن العاص سنة ٢٢هـ/٦٤٣م وانتهى بولاية معاوية بن حديج الكندي ، وهي الفترة التي اطلق عليها عصر أو فترة الاستكشاف.

والثاني ويبدأ بولاية عقبة بن نافع سنة(٥٠هـ) بعد عقبة بن نافع الفهري من أكابر التابعين عند ذاك وافاضلهم ، فقد ولد قبل وفاة الرسول ((صلى الله عليه وسلم)) بعام واحد ، وكان أعرف الناس بأحوال بلاد المغرب ، اذ كان قوي الأيمان بدينه ، شديد الحماس لنشره ، فكان يتخذ من الفتوحات وسيلة لنشر الإسلام زيادة على ذلك كان قائداً قديراً ، اسهم في فتوحات عمرو بن العاص الأولى لأفريقية، ولذلك كان على دراية عالية بأحوال أفريقية ومسالكها ، ولا سيما في ليبيا وصحراواتها ، ولهذا سلك بجيوش المسلمين طريق الصحراء عبر الواحات وتجنب الطريق الساحلي الذي سلكه أغلب القادة الذين سبقوه ، والذي أصبح يعرف بالطريق الأعظم، وبـ(الجادة).

ولكي يتمكن القائد عقبة بن نافع من انجاز مهماته وتحقيق أهدافه ، زود بعشرة آلاف مقاتل زيادة على القوات المرابطة في مدينة برقة والتي كانت تضم أعداداً كبيرة من المتطوعين البربر الذين حسن إسلامهم وتوثقت طاعتهم.

لقد بدأت الحملة زحفها باتجاه المغرب ، فدانت لها القبائل المغربية القاطنة في الصحراء الليبية مثل لواتة ومزاته ، وتمكنت جيوش عقبة من السيطرة على مدينة غدامس وقفصة ، وتوجه بقواته نحو اقليم قسطيلية وأذعنت له أهم مدنها (توزر).

وعندما توقف عن التوغل عبر الصحراء ، إذ رجع مصعداً الى اقليم الهضبة الوسطى حتى وصل الى معسكر القرن الذي انشأه معاوية بن حديج الكندي من قبل ، ولم يعجبه ذلك المعسكر ، زيادة الى أنه اراد توطيد نفوذ المسلمين في ذلك الجزء المهم من الدولة الإسلامية اذ تميز عقبة بن نافع عن من سبقه من القادة المسلمين الذين جاؤوا فاتحين للمغرب ، في أنه كان يرى أن تحقيق الهدف من هذا الفتح لن يتم دون

الاستقرار بين سكان تلك المناطق المفتوحة ، إذ كان يقول: " أن أفريقية اذا دخلها اِنام أجابوه الى الإسلام ، فإذا خرج منها رجع من كان أجاب منهم لدين الله الى الكفر، فأرى لكم يا معشر المسلمين أن تتخذوا بها مدينة تكون عزاً للإسلام الى آخر الدهر..." لذلك نراه يتوجه على الفور لبناء قاعدة ثابتة ، يستقر فيها المسلمون بكل أصنافهم ومعداتهم وحاجاتهم . اذ تجسدت هذه القاعدة بمدينة القيروان .

بناء مدينة القيروان

لقد استحسن جنود عقبة بن نافع رأيه في اقامة معسكر لهم أو مدينة تأويهم وتحمسوا للفكرة ، وأخذ عقبة يستطلع آراءهم لاختيار الموضع الذي يبني فيه العسكر ،اذ اختار هو مكاناً وسطاً بين الساحل والداخل بحيث يكون قريباً من المرعى ولا يكون قريباً من البحر فيصبح في مرمى الرومان . ولا يبتعد كثيراً في العمق فيكون عرضة لتحركات القبائل الصحراوية ذات الأهواء المتقلبة .وكان يقول لأصحابه: "أنا اخترت هذا الموضع لئلا تطرقه مراكب الروم فتهلكه وهو وسط البلاد" .

ويبدو أن عقبة كان لديه رأي آخر في اختياره لهذا الموضع ،اذ أراد أن يكون قريباً من منطقة المراعي من أجل تربية المواشي والأبل.

وهذا الرأي يمثل امتداداً للفكر العربي الإسلامي في مجال اختيار مواضع المدن ،اذ سبقه في ذلك الرأي ،القائد عقبة بن غزوان حينما عزم على بناء مدينة البصرة ،اذ أمره الخليفة عمر بن الخطاب((رضي الله عنه)) على اختيار موضع قريب من المرعى ،لأن عدتهم الأبل والأغنام وهذا لا يعد فكراً رعوياً كما يردده المستشرقون اذ ينكرون على العرب تقدم فكرهم العمراني . والقيروان تعد أولى المدن التي بنيت في العصر الأموي .

هذا وقد وصف المؤرخون موقع القيروان ،اذ اشار البكري أنها: "في بساط من الأرض مديد من الجوف منها بحر تونس وفي الشرق بحر سوسة وفي القبلة بحر سفاقس وأقربها منها البحر الشرقي بينهما وبينه مسيرة يوم ،وبينها وبين الجبل مسيرة يوم وبينها وبين سواد الزيتون المعروف بالساحل مسيرة يوم ،وشرقيها سبخة ملح عظيم طيب نظيف" .

كان الموضع يكتظ بالأشجار المتشابكة وتكثر فيها السباع والهوام وباقي الحيوانات البرية .

هذا وجاءت خطط القيروان على وفق خطط المدن التي سبقتها وهي البصرة والكوفة والفسطاط وأول شيء اختطه عقبة بن نافع هو دار الأمارة ثم اختط الى جانبه المسجد الجامع ،ويذكر أن الذي حمل عقبة على

اختياره مكان المسجد ودار الامارة وجود بئر ماء عذبة بعرف بئر((أم عياض)) وقد جعلها وسطاً بين البنائين.

أما خطط الأهالي فقد وزعت بذلك الأساس القبلي ،وهو استنتاج توافقه طبيعة المرحلة التاريخية وطبيعة التكوين الاجتماعي للجيوش المرافقة للقائد عقبة بن نافع الفهري.

وعمرت مدينة القيروان بمرور الزمن بأنواع الأبنية والمنشآت ،وشد الناس اليها الرحال فسكنوها ،ودامت حركة البناء فيها ما يقارب من الخمس سنوات حتى اكتملت عمارتها سنة(٥٥هـ/٦٧٤م) . ولأجل تأمين الحماية لها وهو حال المدن العربية الإسلامية احيطت بسور محكم مبني من الطين .

لقد كان بناء مدينة القيروان حدثاً مهماً في تاريخ أفريقية والمغرب بعامة لأنها صارت ولاية جديدة مستقلة هي ولاية أفريقية وعاصمة المغرب بعامة ،وقاعدة تنطلق منها الجيوش والحملات العسكرية لنشر الإسلام في الأراضي المغربية عامة ،واصبحت مقراً للولاة ومسكناً لقبائل العرب والبربر الذين دخلوا الإسلام وحسن اسلامهم وتعلموا اصول الشريعة الإسلامية، يقول ابن الأثير: "ودخل كثير من البربر في الإسلام واتسعت خطة المسلمين وقوي جنان من هناك من الجنود بمدينة القيروان ،وآمنوا واطمأنوا على المقام فثبت الإسلام فيها".

وللقيروان دور كبير وواضح في نشر الإسلام ،فشيوخها من أبناء الصحابة ومن التابعين ، وكانوا خير دعاة وخير معين . وهكذا قدر لمدينة القيروان ومنذ البداية أن تؤدي دوراً يشمل النواحي العسكرية والسياسية والحضارية والاجتماعية.

دور عقبة في عمليات الفتح :

على الرغم من انشغال القائد عقبة بن نافع في بناء مدينة القيروان ،الا أنه استمر في نشاطه العسكري وقيادة الحملات وارسال البعوث الى الأطراف لبث الرعب في نفوس الأعداء خرقاً لهم عن مضايقة المسلمين المنهمكين في عملية البناء والعمارة .

وفي سنة(٥٥هـ/٦٧٥م) ارتأت الخلافة اتباع سياسة جديدة في بلاد المغرب تقوم على اساس كسب ولاء القبائل المغربية ونشر الإسلام بينهم ،وتقوم تلك السياسة في اساسها على اعتماد الأقناع واللين ،وربما كان عقبة بن نافع عسكرياً من الطراز الأول وصارماً شديداً في سياسته على حد قول معظم المؤرخين ،فقد تطلبت المرحلة الجديدة والياً سياسياً يمتلك قدراً عالياً من تلك المرونة دون التفريط بأهداف الدولة المركزية.ولهذا السبب استدعى الخليفة القائد عقبة بن نافع وعين مكانه القائد أبا المهاجر دينار .

ثالثاً:ـ العوامل التي ساعدت على فتح المغرب

على الرغم من أن المدة الزمنية الطويلة التي استغرقت لإتمام فتح المغرب للإسلام التي تقرب من الثمانين عاماً ،الا أن هناك من العوامل التي كانت عوناً للمقاتلة المسلمين في اتمام عملياتهم العسكرية وانجاحها وتحرير المغرب من السيطرة الرومانية البيزنطية أولاً ومن ثم نشر الإسلام بين قبائله ثانياً .

ومن هذه العوامل :

١ـ الخلافات والصراعات بين القادة والأمراء البيزنطيين

لقد حدثت الاضطرابات وكثرة المؤامرات عقب موت الإمبراطور جستنيان بين أركان الإمبراطورية البيزنطية المحتلة لبلاد المغرب العربي ،فوقعت الصدامات المحتدمة بين قادة المناطق العسكرية ورؤساء المقاطعات الإدارية ،اذ شاعت بينهم الدسائس والمؤامرات وعمت الاضطرابات وكثرت الثورات ،منها مؤامرة الضباط ضد سولومون القائد الأعلى في عيد الفصح من سنة(٥٣٦هـ) ، وثورة موريطانيا بقيادة ملكها كرمول التي لم تخمد الا بعد مقتل قائدها سنة (٥٧٨هـ) ،وثورة الأمير النوميدي جوكارطا ضد اساليب المرابين الرومان القاسية والجشعة على الفقراء ،وقد استمرت لمدة طويلة وكانت تمثل استمراراً لكفاح المغاربة ضد البيزنطيين الذين قاموا بإنشاء تحصينات متعددة في المراكز التي كانوا يحتلونها بما في ذلك مدينة سبته.

٢ـ تمزق وحدة قبائل المغرب سياسياً ودينياً

لم يعرف عن القبائل المغربية أنها توحدت تحت قيادة واحدة ،ولم تسعى الى توحيد صفوفها، اذ كانت العصبية القبلية وما تفرزه من نزاعات تنخر في صفوف تلك القبائل وتضعف من قوتها مما جعلها سهلة في اخضاعها أو خلق التصادم فيما بينها ، وأنها لم تلتف على ديانة واحدة فقد شتتها المعتقدات المتنافرة من مسيحية ويهودية ومجوسية ووثنية في مختلف اشكالها ،فالرومان لم يستطيعوا استمالة قبائل المغرب نحو الديانة المسيحية، كما لم يتركوا في أوساطهم آثاراً اجتماعية ،حتى أن وجودهم السياسي والاجتماعي يكاد لا يتعدى الشريط الساحلي ،وبذلك كلما ابتعدنا عن قرطاجنة نجد الأثر الروماني يتضائل عدا بعض المراكز المحددة ،وقد استغل العرب الفاتحون هذه الناحية ولا سيما النزاع والتخاصم بين البرانس والبتر اذ استطاع بعض الولاة من تحقيق نتائج عسكرية كبيرة في حروبه مع الكاهنة وأخر مع كسيلة الأوربي تحت هذا الغطاء.

٣ـ أساليب الاضطهاد والتعسف للسكان المغاربة من قبل قوات الاحتلال ادت الى أن تتطلع القبائل المغربية الى الحرية والاستقرار والقضاء على الوجود البيزنطي وما حمله من استغلال اقتصادي وبشري هلك به الحرث والنسل الذين استحوذوا على الأراضي الزراعية ،دفع سكان البلاد الى مقاومة البيزنطيين المحتلين وناصبوهم العداء الشديد،ومما زاد الطين بلة أن البيزنطيين حاربوا اليهود حرباً دينية عنيفة ،فتألبت عليهم مختلف عناصر السكان ،اذ رفضوا في كثير من الأحيان الخضوع لسلطة الدولة ،وقد عبروا عن ذلك برفض

بعضهم مساندة البيزنطيين على العرب أبان الفتوحات الإسلامية ،كما هو حال موقف بعضهم من صنهاجة وكتامة.

٤ـ القوة والكفاية والمقدرة العسكرية لقادة الفتح

أن معظم القادة المسلمين الذين تحملوا مسؤولية قيادة الحملات العسكرية في الشمال الأفريقي كانوا على مستوى عالٍ من الكفاية والخبرة بأمور الشمال الأفريقي ،وعلى اطلاع واسع بأحواله الجغرافية والبشرية وحتى الطبائع والعادات الاجتماعية .

فعقبة بن نافع كان قد ظل ما يزيد على الربع قرن مقاتلاً في أفريقية والمغرب بعامة وكان مجاهداً صابراً جلداً محباً لله ولرسوله الكريم حتى قبل أن يتولى القيادة وبعدها ولاية أفريقية .

وأن السياسة المرنة التي اتبعها بعض القادة مع قبائل المغرب قد استمالت نحوهم رؤساء تلك القبائل وشيوخها وافرادها وادخلتهم سريعاً الى الدين الإسلامي ،حتى أصبحوا عدة الجيش الإسلامي في المغرب .

كذلك التشابه في بعض الصفات والعادات العربية الاجتماعية والمغربية والنابعة من معين واحد ثم سرعة تقبلهم للإسلام والعروبة ،كلها كانت معيناً وعضداً لمؤازرة القادة في تذليل الصعاب في عملياتهم العسكرية ،حتى تحقق لهم ما رسمته الخلافة الإسلامية ،في ضم المغرب بعامة الى حضيرة الإسلام ،فكان لهم ما أرادوا بأمر من الله عز وجل .

عصر الولاة

أولاً:ـ ولاية أبي المهاجر دينار

ثانياُ:ـ ولاية عقبة بن نافع الفهري الثانية

ثالثاً:ـ ولاية زهير بن قيس البلوي

رابعاً:ـ ولاية حسان بن النعمان الغساني وجهوده الادارية

خامساً:ـ ولاية موسى بن نصير

لقد كان عصر الولاة بالمغرب العربي الكبير أطول من حيث اِمتداده الزمني ،اذ دام هذا العصر منذ نهاية عملية الفتح من بداية الربع الأخير من القرن الثاني الهجري/الثامن الميلادي وقد كان للعباسيين فيه تدخل مباشر لا سيما في منطقة المغرب الأدنى .

امضى الأمويون حقبة مهمة من هذا العصر ،اذ كانت سلطتهم فيها سلطة محترمة ومتمكنة من ادارة الأمور الادارية والسياسية والاقتصادية ،وما أدل على ذلك اِلا قلة عدد الولاة بالقياس الى كثرتهم في الأندلس . هذا وقد تمثل حكم الولاة بالعمل في ميدانين: الأول تمثل بمواصلة العمليات العسكرية الجهادية . والثاني تمثل بالحرص الشديد على نشر الإسلام والثقافة العربية الإسلامية .

أولاً:ـ ولاية أبو المهاجر دينار

هو مولى لمسلمة بن مخلد الأنصاري ،والي مصر ،اذ تولى قيادة الجيش من الشمال الأفريقي بعد عزل القائد عقبة بن نافع الفهري ،وذلك سنة٥٥هـ/٦٧٥م ،وافتتح عمله باتخاذه قاعدة جديدة تسمى(تكرور)،بدلاً عن مدينة القيروان التي شادها عقبة بن نافع .

لقد بنيت تلك القاعدة في جبل(وسلات) وهي مسكن قبيلة مزاته المغربية. وربما كان هدف أبي المهاجر اتخاذه قاعدة جديدة لولايته وسط القبائل المغربية ،ليؤكد لهذه القبائل أن اتجاهاً سياسياً جديداً سيقوم على اساس التقرب من السكان الأصليين وكسبهم للإسلام باللين والحكمة والحسنى وربط اواصر الحلف معهم ضد الروم الدخلاء .

ويعد أول من طبق سياسة الاستقرار بها وإنهاء العمل العسكري ،فأقام كامل فصول السنة في أفريقيا .ويرى موسى لقبال أن هذه السياسة لم تكن بالجديدة ،اذ أن بذورها قد بدأت بمعسكر القرن ،وطبقت اساساً في بناء القيروان التي تعد أول قاعدة للاستقرار والحكم ،وان عقبة قد عزل ولذلك لم تتضح سياسته بعد.

هذا وكانت سياسة أبي المهاجر دينار تنصب على هدفين رئيسيين:-

١- كسب ود قبائل البربر ،ودعوتهم الى الإسلام والاعتماد عليهم في اجتثاث معاقل الروم البيزنطيين ،ولا غرو في أن إسلام زعيم قبيلة أوربة المغربية المدعوا كسيلة ،كان حدثاً مهماً له معناه وأثره البعيد في نجاح القوات العربية الإسلامية من تأدية واجبها الأسمى من حملاتها العسكرية وهو نشر الإسلام ،أما تأثيره ،فكان كسيلة لم يُسلِم بمفرده وإنما أسلم معه نفر كثير من قومه إن لم نقل قبائل أوربة بعامة.

٢- طرد الروم وتحرير عموم المغرب من سيطرتهم ،اذ عمل على مواجهة مواقعهم المتبقية في قرطاجنة ومدينة فحص تونس ،وعمل على بقاء معسكر قريب من المدينة ليمارس نشاطه ضدهم ،وتوجه بالقائد حنش بن عبد الله الصنعاني على رأس جيش لفتح جزيرة شريك ثم عقد صلحاً مع الروم "فالأرجح أن يكون شرط على الروم أن يحتفظ المسلمون بما استولوا عليه من مناطق حول شبه جزيرة شريك".

وعندما نريد تقييم جهود ابي المهاجر دينار ،نعترف لا محالة بأهمية دوره في تقدم حركة الفتح ونشر الإسلام بين سكان المجتمع المغربي ،لاسيما المغرب الأوسط الذي يعد أول قائد مسلم اوغل فيه ،حتى أصبح سكانه حلفاء يوثق بهم . وقد نجح في تحطيم مقاومة الروم البيزنطيين واقتحام مدينة قرطاجنة . "ولو لم يكن هذا القائد سياسياً متسامحاً وذا هدف محدد لما استطاع أن يحصل على هذه النتائج الطيبة الثمار..." .

ثانياً:- ولاية عقبة بن نافع الفهري الثانية

تولى القائد عقبة بن نافع الولاية الثانية لأفريقية سنة ٦٢هـ/٦٨١م في خلافة يزيد بن معاوية . وعندما وصل الى أفريقية هجر قاعدة ابي المهاجر المسماة (تكرور) ،واعادة تجديد ما خرب من مباني مدينة القيروان ،وعمل على تنظيم شؤون الولاية ،واقرار الأمور فيها ،وعندما تم له ذلك عزم على القيام بحملته المشهورة في بلاد المغرب ،اذ استخلف زهير بن قيس البلوي وعمر بن علي القرشي على مدينة القيروان،تدعمهما حامية عربية كبيرة العدد لحراسة المدينة والدفاع عنها،وقد أكد عقبة مهمته الجهادية بوصيته لأولاده التي جاء فيها:

"اني قد بعت نفسي من الله ،فلا أزال أجاهد من كفر بالله ،وأراكم لا ترونني بعد يومكم هذا" . وقدرت حملة عقبة بعشرة آلاف مقاتل .

هذا وقد بدأت حملته متخذاً طريق الهضبة غرباً حتى وصل الى مدينة (باغاية) اذ التقى قوات الروم الهائلة العدد ومعهم حلفاؤهم في تلك المدينة المطلة على جبل أوراس،فأوقع فيهم الهزيمة ،ثم قصد مدينة أدنه في اقليم الزاب وهناك الحق الهزيمة بأعدائه من الروم ومن معهم من الحلفاء ،وألجأهم الى الحصون ،وتواصلت انتصارات عقبة على الروم حتى لا ذت فلولهم بحصن تاهرت.

ووجد عقبة بعد ذلك نفسه أمام جموع كبيرة من الروم والبربر من قبائل لواتة وهوارة وزواغة ومطماطة وزناتة ومكناسة.وكانت القوات العربية الإسلامية قد استعدت لخوض غمار المعركة ،فقام عقبة بن نافع خطيباً يحض القوم على الصبر والصمود وملاقاة الأعداء بقوة القلوب المفعمة بالأيمان وحب الجهاد،والتقى الطرفان وجرت معركة حامية الوطيس ،ثقلت على المقاتلين المسلمين ،لكن الصمود والصبر والأيمان بالله أعجز جموع الروم وحلفاءهم من بعض البربر ،فولت قواتهم منهزمة تريد الاحتماء بالمدينة ،لكن المسلمين لم يمكنوهم من هدفهم فقضوا عليهم وقطعوا آثارهم.

وفي مدينة تلمسان خاض عقبة معركة شديدة مع الروم انتصر فيها ،ثم مضى في طريقه حتى وصل الى اقليم الريف والسوس بما فيه طنجة وسبته وحاكمها يُليان (جوليان) الذي اعترف له بالتبعية والولاء وزوده بمعلومات مهمة عن أحوال الأندلس والروم.ويبدو أن تلك أول معلومة وصلت الى مسامع المسلمين عن الأندلس اذ فتحت أعينهم ونبهتهم الى ذلك .

بعد ذلك قصد عقبة بن نافع صحراء درعة ومضارب أهل اللثام من بطون قبيلة صنهاجة الكبرى حتى اشرف على أسفي على المحيط الأطلسي ،وعندها وقف على المحيط وأخذ الحماس بمشاعره فأوغل بفرسه وسط الماء ثم لوى عنان فرسه ،وقيل أنه دخل مياه المحيط حتى بلغ الماء بطن فرسه ورفع يده الى السماء معتذراً قائلاً: "اللهم أشهد أني قد بلغت المجهود ولولا هذا البحر لمضيت في البلاد اقاتل من كفر بك حتى لا يعبد أحد دونك" .

وقد ترك عقبة آثاراً حضارية تجسد جهوده العسكرية الجهادية في تلك المناطق اذ بنى مساجد في جل المناطق التي مر بها لتكون مراكز لنشر الإسلام وتعليم أصوله ،ومنها مسجد درعة ومسجد نفيس ومسجد أيجلي قاعدة السوس الأقصى ومسجد في ماسة.

وبعد أن حقق الانتصارات العظيمة عزم على العودة ،فدار جنوبي ماسة ماراً بايفرن يطوف ثم مضى شمالاً حتى تارنا ،ثم الى موضع شاكر الذي سمي نسبة الى صاحب عقبة ، شاكر الذي أسس رباطاً في هذه المنطقة. وفي طريق العودة ضمن للإسلام قبائل ((حاحة ورجراجة ومصمودة)) تاركاً بينهم من يعلمهم

أصول الإسلام ،إلا أن ابن خلدون ،يذكر أن المصامدة فرضوا حصاراً على عقبة في منطقتهم فهبت قبائل زناتة لنجدته وفك الحصار عنه. وحينما وصل عقبة الى موقع طبنه التي تبعد عن القيروان نحوا من ٣٠٠كم ،ترك لجنوده حرية العودة الى ديارهم بالقيروان ،ولم يبقى معه سوى بضعة آلاف ،وقيل أنهم كانوا خمسة آلاف فقط.

ويعزو المؤرخون تصرف عقبة هذا أنما لأسباب هي:.

١. القرب من قاعدة أفريقية (القيروان)

٢. الثقة بما نال من النصر على العدو

٣. طول المدة التي قضاها المقاتلون في هذه الحملة ،فصرف معظمهم للحاق بمنازلهم وعيالهم.

٤. بسبب ما قام به كسيلة الأوربي بعد أن تمكن من الهرب ،اذ طمر آبار المياه على طول الطريق السالكة الى القيروان ،مما دعا عقبة الى إتخاذه طريق يتميز بقلة المياه ولا يكفي لإرواء القوات مجتمعة .

٥. وربما يكون السبب لحالة الاعياء والإصابات التي حصلت لمعظم المقاتلين.

وقد عول عقبة بن نافع على المقاتلين الذين معه على إتمام ما بقي من المدن والحصون التي تفتح ، لن هروب كسيلة زعيم قبيلة أوربة الذي كان يكره عقبة ويعارضه ،قد سنحت له الفرصة للاتصال مع الروم بتهوده التي كان عقبة قد قرر أن يفتحها ،وفي الوقت نفسه جمع معظم ابناء قبيلة أوربة ، واستطاع بحنكته أن يباغت عقبة بتهوده.وعلى الرغم من أن عقبة تأكد من عدم التكافؤ بين تلك القوات التي استبقاها معه وبين قوات كسيلة ،فأنه أصر على مواجهة الواقع بشجاعة نادرة ،وفضل ذلك على الهزيمة ،فأمر جنوده بالنزول عن خيولهم وكسروا أغماد سيوفهم تعبيراً عن الصمود حتى النهاية .وهكذا تصدى الروم وحلفائهم لعقبة وجيشه ،وأسفر اللقاء عن هزيمة غير متوقعة لجيش المسلمين الذين قتلوا عن آخرهم بما في ذلك عقبة وأبو المهاجر دينار الذي كان عقبة قد سجنه بعد تسلمه الولاية الثانية لأفريقية ،اذ خيره عقبة بالرحيل بعد أن فك اغلال سجنه ،إلا أنه أبى إلا القتال بجنبه ،حتى نال الشهادة معه وأصحابه الذين سميت مقبرتهم ((مقبرة الشهداء)) وأصبحت المنطقة كلها باسم ((سيدي عقبة)) عوضاً عن تهوده.

ويذكر أن كسيلة هذا زعيم أوربة كان يتصرف كأمير من الأمراء ،حتى أن أبا المهاجر قد نصح عقبة من قبل عندما أراد النهوض الى طنجة بقوله: "ليس بطنجة عدو لك لأن الناس قد أسلموا ،وهذا رئيس البلاد ـ يعني كسيلة ـ فابعث معه والياً ،فأبى عقبة إلا أن يخرج بنفسه". وضيق عقبة على كسيلة فأجبره على القيام بأعمال لا تليق بمركزه كزعيم لقبيلة ،مع اجماع الروايات على عدم استحكام الإسلام في قلبه.

لقد كان لاستشهاد عقبة بن نافع ، وأبي المهاجر دينار ، أثر عميق في نفوس المسلمين ،لأنهما أول القادة الذين استشهدوا في بلاد المغرب ،دفاعاً عن القيم والمبادئ الإسلامية ،وكان لذلك تأثير سلبي على معنويات

الجند المرابطين في مدينة القيروان ،اذ لم يتمكن زهير بن قيس البلوي من معالجة الأوضاع فيها ،والصمود في الدفاع عن القيروان ، لذلك انسحب الى مدينة برقة ،أما كسيلة فلم يجد صعوبة في دخوله مدينة القيروان في المحرم من سنة ٦٤هـ/٦٨٤م فأمن من بقي فيها من المسلمين،وظل أميراً على القيروان وما يحيط بها مدة تقرب الخمس سنوات.اذ كانت أوضاع الخلافة في دمشق تمر بظروف عصيبة أبعدت الخلفاء عن مشكلات المغرب وهمومه .

وبعد أن استقرت أوضاع الخلافة لعبد الملك بن مروان سعى لاستعادة سلطة الخلافة في العراق والمشرق ،وعندما بدأت الأمور تسير نحو الاستقرار ،قرر الخليفة استعادة القيروان، واكمال حروب التحرير ونشر الدين الإسلامي في عموم المغرب ،لذلك استشار أهل الخبرة والمعرفة في من يوليه أمر المغرب ،فأنتهى الى اختيار القائد زهير بن قيس البلوي والياً على المغرب وقائداً لجيوش الفتح.

ثالثاً:- ولاية زهير بن قيس البلوي

لقد خلق استشهاد عقبة بن نافع وأصحابه في موقعة تهوده ،وضعاً مضطرباً لدى العرب المسلمين في أفريقيا والمغرب بعامة ، وهدد بحق المكاسب التي حققتها قوات الفتح العربية الإسلامية ،لكن وهير بن قيس البلوي الذي كان يتولى الولاية نيابة عن عقبة ،حاول أن يخفف من تأثير الانكسار النفسي المقلق لدى العرب المسلمين ،اذ قام خطيباً في مسجد القيروان الجامع فأوضح للناس الظروف التي أدت الى هزيمة اِخوانهم في موقعة تهوده وما أصابهم من جراء ذلك وحثهم على ضرورة البقاء في القيروان للقاء المعتدين ،فأما الشهادة وأما النصر الساحق الذي يرهب الأعداء ويثبت الإسلام في نفوس الذين آمنوا في المغرب بعامة .لكنه في النهاية رضخ لرأي الأغلبية القائلة بوجوب الانسحاب من القيروان باتجاه المشرق تداركاً لهجمات قد تُشن من قبل الأعداء تزيد من مأزقهم .لذلك أنسحب زهير ين قيس ومن معه من المقاتلين الى طرابلس ،وأخذ يراسل ولاة مصر وربما الخلافة في دمشق ليطلعهم على الحال ويطلب مدداً جديداً لمواجهة الموقف المضطرب ويعيد به الوضع الى حالته الطبيعية ،ولكن الخلافة التي كانت تعيش ازمة سياسية بعد وفاة يزيد بن معاوية ،لم تستطع الاجابة السريعة لطلبه مما هيأ المجال أمام كسيلة الأوربي والمتحالفين معه للزحف نحو القيروان والسيطرة عليها طيلة الخمس سنوات .

دام سكوت الخلافة عن طلب زهير البلوي حتى خلافة عبد الملك بن مروان الذي أبتدأ نشاطه في شمال أفريقية بتأكيد تعيين القائد زهير بن قيس البلوي والياً على أفريقية ،وأمره بضرورة الدخول فوراً للإنقاذ من بقي من المسلمين ،وأمده بالرجال والأموال والخيول من مصر . وجعل في مساعدته مجموعة من رجال الحرب ،منهم أبو حيان الحضري ،وحشد اليه وجوه العرب وبعثهم اليه ،فوفدت الجيوش على زهير ،وتسرع الناس معه الى أفريقية.

وبذلك تجمع لدى زهير جيش يزيد على ستة آلاف مقاتل بضمنهم ألفا مقاتل من القبائل المغربية المحلية واربعة آلاف من عرب المشرق ،زحف بهم زهير سنة ٦٩هـ/٦٨٩م من برقة نحو مدينة القيروان. وكان كسيلة معه أضعاف مما مع زهير من عدد من القوات ،فدعا كسيلة أشراف البربر وقال لهم: "أن رأيت أن أرحل عن هذه المدينة فأن بها قوماً من المسلمين ،لهم علينا عهود ونحن نخاف أن أخذنا القتال معهم أن يكونوا علينا .ولكن ننزل على موضع ممس وهي على الماء ،فأن عسكرنا خلق عظيم ،فأن هزمناهم الى إطرابلس قطعنا آثارهم ،فيكون لنا المغرب الى آخر الدهر ،وإن هزمونا ،كان الجبل منا قريباً والشعراء فنتحصن بهما" .

هذا والتقى زهير بجيشه مع كسيلة وجرت معركة حامية في وادي ممس انهزمت بها جيوش كسيلة وتبعتهم جيوش العرب المسلمين حتى نهر ملوية. ثم عاد زهير بجيشه الى القيروان ليعيد إصلاح ما دمره احتلال كسيلة الأوربي لها . ومن ثم عاد باتجاه المشرق عقب انتهاء معركة ممس وتأمين قاعدة القيروان من أي أذى بترك حامية صغيرة فيها وبترك أصحاب الأثقال فيها.

ولتفسير سرعة انسحاب زهير البلوي من القيروان وعودته أتجاه المشرق افتراض واحد يتمثل في احتمال اطلاعه على ما يدبره الروم في الخفاء ضد منطقة برقة ، ذلك التدبير العدواني الذي حال دون تنفيذه وجود زهي على رأس حامية قوية في المنطقة ،لكن بابتعاده عن برقة وصلته أخبار هجوم الروم البيزنطيين على برقة مما جعله مضطراً للعودة على عجل لمواجهة القوات الرومية ،وهي تستعد للإقلاع في البحر وبين أيديهم أعداد من الأسرى المسلمين.

ولعدم التكافؤ بين قواته وقوات الروم التي لم تكن تسمح بخوض مثل هكذا مواجهة ،لكن اندفاع المسلمين متحمسين لفك أسرهم دفعهم بقيادة زهير لخوض المعركة مترجلين في لقاء غير متكافئ في منطقة((درنة)) إذ كانت النتيجة هزيمة المسلمين واستشهادهم جميعاً ،وصار ما عندهم من سلاح وخيول وامتعة غنيمة سائغة للروم الذين أبحروا بعد هذا النصر الى جزيرة صقلية. وسميت المنطقة التي استشهدوا فيها في مدينة درنة باسم "قبور الشهداء" .

أما بقية الجيش الذين لم يشتركوا في المعركة نتيجة لبعدهم عن ميدانها فقد وصلوا دمشق ورووا للخليفة عبد الملك بن مروان ما وقع لزهير ومن معه من المسلمين ،فتأثر تأثراً عميقاً لهذه النتيجة المحزنة التي تشبه في هولها وشدتها كارثة ((تهوده)) من قبل . ورغبوا فيه ألا ينحني أمام الروم وحلفائهم ويترك أفريقية نهباً مقسماً بينهم ،ويفرط في الحقوق الثابتة التي حصل العرب بجهودهم ودمائهم وطالبه في النهاية أن يرسل إليها من يسد ثغرها ويصلح أمرها، فأجابهم "لا أرى أحداً كفوءاً لأفريقية كحسان بن النعمان" .

رابعاً:- حسان بن النعمان الغساني

بعد استشهاد القائد زهير بن قيس البلوي ، وانشغال الخلافة الأموية بمواجهة حركة ابن الزبير وخروج الخوارج وغيرهم . عادت الاضطرابات الى الشمال الأفريقي .فعمت البلاد الفوضى ،وافترق أمر البربر وتعدد سلطانهم في رؤسائهم واستمر الحال حتى سنة ٧٣هـ/٦٩٣م،عندما ولى الخليفة عبد الملك بن مروان القائد حسان بن النعمان الغساني والياً على المغرب ،وهو حسان بن النعمان بن عدي بن بكر بن يغمش بن عمرو بن مزيقيا بن عامر الأزدي.تولى قيادة الجيش الإسلامي في أفريقية سنة ٧٤هـ/٦٩٣م في ظروف حرجة كانت تقتضي تنصيب شخصية كحسان . وهو يُعد من قادة الشام المشهورين ومن سلالة ملوك الغساسنة . ومن اكثر الرجال قرباً واخلاصاً للخلافة الأموية حتى كان يعرف عندهم بـ"الشيخ الأمين" .

خطورة الموقف في هذا الجزء من الدولة العربية الإسلامية عقب استشهاد عقبة بن نافع في موقعة تهوده وزهير البلوي في درنة ،والذي نجم عن تحالف القبائل البرانسية والروم ووجوب استعادت هيبة الخلافة هناك الذي لا يتم إلا بتصفية النفوذ البيزنطي في أفريقية وتحطيم الروم والسيطرة على قاعدتهم قرطا جنة ،والقضاء على عنصر المقاومة المحلية المتمثلة في حركة قبائل البتر بقيادة زعيمتهم الكاهنة.

لقد دخل حسان بن النعمان شمال أفريقية سنة ٧٤هـ/٦٩٣م على رأس جيش كبير قيل أنه لم يدخل المغرب قبله جيش بعدده وعدته ،إذ بلغ الأربعين ألف مقاتل.وكان خليطاً من العرب والبربر . وجعل حسان على مقدمة هذا الجيش محمد بن ابي بكر ،وهلال بن ثروان اللواتي وما وجود القائد هلال اللواتي إلا يعني رسوخ العقيدة الإسلامية بين هذه القبائل .

هذا وقد اعتمد حسان الغساني في خطته القتالية ستراتيجية عسكرية جديدة لمواجهة اعدائه من الروم وحلفائهم حين قرر أن يقاتلهم منفردين لا مجتمعين ،حتى يسهل القضاء عليهم واحداً بعد الآخر قبل أن يتكتلوا ضده ،لذلك قرر أن يناجز الروم أولاً ثم يلتفت الى عناصر المقاومة المحلية. فكانت قرطاجة،هدفه الأول لكونها قاعدة الروم ،وأعظم مدن أفريقية البيزنطية على البحر الشامي((المتوسط)) ،إذ قصدها حسان بكل قواته وحاصروها وعلى الرغم مما أبداه المحاصرون من مقاومة فقد استسلموا وتظاهروا بطلب الأمان والرغبة في ايقاف القتال الذي أزهق ارواح الكثير من فرسان الروم ،واستجاب حسان لطلبهم وأخلوا المدينة في جنح الظلام وهربوا في سفنهم إما الى جزيرة صقلية أو الى الجزائر الشرقية ((جزر البليار)) وسائر الأندلس تاركين خلفهم ضعفاءهم وبعض اثقالهم ،ثم زحف حسان بجيشه نحو مدينة بنزرت على مقربة من قرطا جنة فأنزلوا بالروم هزيمة شتت شملهم ،في حين فر حلفاؤهم من البرانس الى مدينة بوتة.وأخذ يتتبع فلول المنهزمين ويبعث السرايا للقضاء على آثار المقاومة هناك . وبعد هذه الجهود العسكرية الكبيرة والانتصارات ، قرر أن يعود الى القيروان ليستريح فيها ويعيد تنظيم صفوف جيشه من جديد استعداداً للجولة الثانية ضد قبائل البتر بقيادة الكاهنة داهية.

لقد أحيت الكاهنة المقاومة المحلية التي كان العرب المسلمون يعتقدون بأنها أخمدت نهائياً بعد معركة سهل ممس ، وفتح قرطاجنة وتشريد الروم وحلفائهم من البرانس فقد جاءت هذه الأحداث لتؤكد خطأ اعتقادهم ، إذ أن الأحداث لم تنته بعد بالنسبة لفرع البتر((أهل الوبر)) وبالنسبة للروم الذين ظلوا يراقبون الأحداث عن بعد ، فكلما بانت لهم ثغرة دخلوا منها.

تعد معارك حسان الغساني مع الكاهنة من أعظم المعارك التي خاضتها الجيوش العربية الإسلامية في شمال أفريقية ، وعلى هزيمتها كان يعول المسلمون أحلامهم في تحرير شمال أفريقية . إذ أن حسان عندما سأل أهل القيروان عمن يكون قد بقي من ملوك أفريقية ممن لهم قيمة في ميزان الأحداث ليناجزه الحرب أو يسلم . فأشاروا الى أمرأه تقطن منطقة أوراس يخافها الروم في أفريقية ويخشون بأسها ويذعن لسلطانها جميع البربر إذ قالوا: "فأن قتلتها وأن لك المغرب كله ، ولم يبق لك مضاد ، ولا معاند" .

ولما سمعت الكاهنة بزحف حسان الغساني إليها من القيروان انتقلت بقواتها من منطقة أوراس الى مدينة باغية التي تشرف على المنطقة ، وهدفها حتى لا يتحصن فيها حسان وينطلق منها الهجوم على منطقة الكاهنة ، والتحم الجيشان عند البلاء ويسميه ابن الأثير نهر نيني. وجرى قتال مرير انتهى بهزيمة حسان بن النعمان ومقتل عدد كبير من جنده وأسر ثمانين رجلاً من جيشه أطلقتهم الكاهنة فيما بعد جميعهم عدا خالد بن يزيد العبسي لشجاعته ووسامته وآخت بينه وبين ولديها على طريقتهم الخاصة.وسميت المعركة بوادي العذارى ، وانسحب على أثرها جيش حسان الذي لا حقته قوات الكاهنة حتى منطقة قابس ، مما جعلت فلول الجيش الإسلامي تصل برقة حيث توقف هناك بأمر من الخليفة بعد أن كتب إليه حسان بنبأ الهزيمة التي حفت به على يد قوات الكاهنة.

وعلى أثر ذلك اتخذ حسان معسكراً لجنده بالقرب من قصور قديمة أصبحت تسمى فيما بعد بـ"قصور حسان" ، إذ مكث هناك خمس سنوات ينظم صفوف جيشه ، ويراقب تطور الأحداث في أفريقية وينتظر إذناً جديداً من الخليفة عبد الملك بن مروان . وكان خالد بن يزيد العبسي يمده بالأخبار عن الكاهنة وعلاقتها بالروم وبقبائل البرانس من جهة ، وعن الروح المعنوية ومدى تماسك تلك الجيوش وإخلاصها للكاهنة من جهة أخرى ولاسيما بعد أن عم الاستياء من تصرفات الكاهنة بتخريب العمران وحرق المزارع وقطع الأشجار بقصد منع العرب من استغلالها كما أخبره بأن القوم لا تربطهم رابطة في هذه المدة ، وحثه في النهاية على الاسراع بالزحف للإجهاز على الكاهنة.

وبعد أن لاحظ حسان أن الموقف يسير في صالحه ، وأن نفوس القبائل قد تغيرت تجاه الكاهنة وأخذوا يكرهونها ويفرون من حولها ، حتى أن فريقاً منهم قدم الى إقليم برقة يستغيثون بحسان لما حل ببلادهم على

يد الكاهنة وسياستها في الأراضي المخربة ، لاسيما أن الامدادات قد وصلت إليه من الخلافة بالمشرق ، وصالحه أهل مدينة قابس ودانت له مدينة قفصة وقسطيلية ونفزاوة بدون حرب.

وكانت الكاهنة قد قالت لولديها إني مقتولة وأعلمتهم أنها رأت رأسها مقطوعاً موضوعاً بين يدي ملك العرب الذي بعث حساناً. وعليه استعدت الكاهنة للمعركة الفاصلة ، وعندما بدأت المعركة والتحم الجيشان انهزمت الكاهنة وجيشها ، وظفر بها فقتلت في مكان سمته المصادر ببئر الكاهنة، واستسلم ولدا الكاهنة مع اثنى عشر ألف من قبائل البتر ، إذ قود حسان كل واحد منهما على ستة آلاف من البتر، واستصحبهم معه وأرسلهم الى مختلف النواحي ليحملوا السيف في رقاب كل من لم يذعن من الروم وحلفائهم لحكم المسلمين .

وبهذه المشاركة أكد حسان على مبدأ التسوية بين العرب والبربر لتحمل المسؤولية في نشر الدين الإسلامي في المغرب بعامة ، وهي خطوة بادر اليها الوالي أبو المهاجر دينار من قبل.

ثم واصل حسان الغساني تطهير بعض المدن التي اتخذتها الفلول المنهزمة مراكز للمقاومة ومنها قرطاجنة التي عاد اليها الروم مستغلين انشغال حسان في قتال الكاهنة ، فالحق بهم حسان هزيمة منكرة تاركين المدينة التي أمر حسان بتخريبها وحرقها وقطع المياه عنها حتى ييأس الروم من العودة اليها مرة أخرى .

وطهر ايضاً فحص تونس وقلعة زغلول بعد قتال دام ثلاثة أيام، ثم أقام حسان بالقيروان مدة استقدمه بعدها والي مصر عبد العزيز بن مروان تمهيداً لعزله بعد انتصاراته العسكرية التي ثبتت الوجود العربي الإسلامي في شمال أفريقية أمام اطماع الروم المستعمرين وحلفائهم .

وقد لا نجد سبباً مباشراً لعزل حسان إلا على ما يبدو ظن الوالي عبد العزيز بن مروان أن حسان كان يتحاشاه في الرجوع اليه في شؤون أفريقية واتصاله كان مباشرةً بالخليفة عبد الملك بن مروان دون وساطة ، وهالته المنزلة التي تبوأها حسان في حملاته العسكرية ، علماً أن أفريقية كانت ولاية مستقلة تقريباً ، حالها حال مصر ، ومن يحكمها يسمى بالوالي .

وأعتقد أن الموضوع بجملته كان حسداً على الظفر الذي حققه حسان بن النعمان الغساني . وهكذا أعيد حسان الى دمشق ومثل بين يدي الخليفة عبد الملك الذي قدم له الشكر على اخلاصه وعزم الخليفة على رده الى مكانه والياً لأفريقية لو لا اعتذار حسان عن ذلك، لكبر سنه على ما يبدو مما جعل الخليفة يسند مهمة ولاية أفريقية الى القائد موسى بن نصير .

جهود حسان بن النعمان الإدارية

١. عمل على اتباع سياسة استندت على استمالت القبائل المغربية ، وذلك بتعيينه عمالاً وقادة من تلك القبائل . إذ اشعرهم من خلالها بأهميتهم في إدارة الولاية والدولة العربية الإسلامية كونهم جزءاً منها . مما

يؤكد لهم بأن سياسته لا تفرق في ميدان ممارسة المسؤولية بين العرب الفاتحين والقبائل المغربية المحلية، ولذلك أصبحت مهمة نشر الإسلام في المغرب الإسلامي تقع على مسلمي المشرق ومسلمي المغرب معاً .

٢ـ عمل على إنشاء قاعدة حربية عربية إسلامية في المغرب لمواجهة الخطر البيزنطي القادم من البحر الشامي . إذ بنى مدينة تونس على أنقاض المدينة القديمة المسماة ترشيش شرق قرطاجنة وخرق البحر اليها ليوصلها به ، إذ كانت بعيدة عنه قليلاً ، وجعل رادس مرساً لها وأنشأ لذلك داراً لصناعة السفن وبناء الأسطول البحري ، كما زودها بالمحارس . وهكذا أصبحت أفريقية مركزاً بحرياً مهماً تخرج منه أساطيل المغرب وهي تحمل رايات الإسلام ، حالها كمصر والشام .

وحسان الغساني يُعد أول من وضع نواة الأسطول البحري العربي المغربي وبذلك سحب من الروم التفوق البحري على المسلمين في المغرب.

٣ـ قام حسان بأعمال عمرانية ، إذ عمل على تحسين مدينة القيروان واعادة تعمير ما خرب منها وتجديد مسجدها الجامع((مسجد سيدي عقبة)) وتوفير الوسائل الخدمية التي تبعث الراحة والاستقرار في نفوس أهلها واستقطاب مزيد من الوافدين عليها . يقول الدباغ: "أقام حسان بها ـ أي حسان وعمرها المسلمون وبنوا بها المساكن وانتشروا فيها وكثروا وأمنوا من أعدائهم وقطعوا شوكتهم ، وأقر الله أعينهم ، وعلموا أن الله قبل دعوة عقبة بن نافع فيما دعا لهم".

٤ـ قام بتوزيع الأراضي التي أخذت من البيزنطيين على الفلاحين من أهل المغرب ، فقد جعل لكل قبيلة قطعة من الأرض تستغلها وتكون مسؤولة عن صدقاتها ، يذكر المالكي: "ومن ذلك صارت الخطط للبربر في أفريقية ، فكان يقسم الفئ بينهم والأرض ، وحسنت طاعتهم" .

٥ـ قام بتدوين الدواوين وتعريبها ، وجعل العربية لغة الإدارة وعين المصالح الحكومية المختلفة وهيئة الموظفين وعين نواب الأقاليم وعين على خراج قلعة زغوان رجلاً قبطياً يدعى إبراهيم بن النصراني. وبذلك أصبح تكليف الموالي بالمناصب المهمة في المغرب أمراً مألوفاً منذ أن وضع اساسه أبو المهاجر دينار .

٦ـ ومن الناحية المالية فقد نظم الخراج على الأراضي وأنشأ ديواناً للخراج عين عليه حنش بن عبد الله الصنعاني صاحباً للخراج في القيروان. وكان وضع الجزية على الروم وعلى النصارى ، وكان غالبيتهم من قبائل البرانس. وأسند مهمة جمع أموال الجزية والخراج من أهل الذمة الى رجال من أهل طائفتهم وكما هو الحال في برقة ، إذ كانوا يجمعون الأموال ويدفعونها لمركز الولاية دون أن يدخل أراضيهم جابٍ ولا مستحدث.

٧ـ يُعد حسان بن النعمان الغساني أول من أعطى المغرب طابعاً عربياً إسلامياً بعد تحريره من الروم البيزنطيين ، إذ قام من خلال سياسة المساواة بين العرب الفاتحين وأهل المغرب في اسناد المهمات الإدارية

والعسكرية إذ حقق سمعة طيبة ، وحبب الإسلام في ربوع أفريقية ونشره بين قبائلها وتوسعوا في بناء المساجد ، وعمق بين سكانها العادات والتقاليد العربية واللهجات العربية، فحقق بذلك بناء المجتمع الإسلامي الحق .

خامساً:ـ القائد موسى بن نصير

هو موسى بن نصير بن عبد الرحمن بن زيد اللخميالتابعي ، كان والده يعمل قائداً للحرس الخاص لمعاوية بن أبي سفيان أثناء ولايته على الشام ، واشتهر بقوة شخصيته وبالمحافظة على الحياد في الأحداث التي شهدتها المنطقة يومذاك.

لقد برز موسى بن نصير كشخصية قوية في خلافة مروان بن الحكم ، إذ كان في بداية أمره مشابهاً لعبد الله بن الزبير ، وبعد هزيمة ابن الزبير في معركة مرج راهط سنة ٦٥هـ/٦٨٤م على يد مروان بن الحكم ، استجار موسى بعبد العزيز بن مروان والي مصر الذي توسط فيه لدى والده ليؤمنه على حياته بعد أن أقسم على أن يهب عمره في خدمة آل مروان ونصرتهم وتولى موسى عدة مناصب قبل توليه المغرب ، إذ عمل موسى على خراج البصرة عينه عبد الملك بن مروان، عين والياً على المغرب سنة٨٦هـ/٧٠٦م، في حين يجعل ابن الأثير ولايته على المغرب سنة ٨٩هـ. والراجح على ما أعتقد هو الرأي الأول ، أي سنة ٨٦هـ بعد عزل حسان بن النعمان الغساني ، إذ من غير الممكن ترك المغرب بدون والي مدة طويلة من الزمن خوفاً من الفتن .

لقد ساد موسى بن نصير على وفق السياسة التي انتهجها أبو المهاجر دينار ، وسار بها شوطاً بعيداً حسان بن النعمان ، إذ عمل اصطناع البربر ، وأشركهم في جيوشه على نطاق واسع ، وعهد أيضاً الى فقهاء المسلمين بتعليمهم قواعد الدين الإسلامي.

وبدأ جهوده العسكرية بإخضاع القبائل التي كانت لا تزال خارج طاعة السلطة المركزية للدولة العربية الإسلامية في الشمال الأفريقي ، أو التي ارتدت عن الطاعة. وقد ارسل الحملات العسكرية لتحقيق هذا الهدف منها:ـ

١ـ حملة قادها عبد الملك الخشني مؤلفة من (٥٠٠) فارس قضت على عناصر التمرد في قلعة زغوان واعدام رئيس التمرد.

٢ـ حملة قادها أبنه عبد الله الى نواحي القيروان قضت على بعض بؤر المقاومة هناك ، ورأس أبنه مروان قوة لتطهير بعض المناطق هناك من المرتدين والمتمردين.

وبعد أن أطمأن موسى على طاعة المغرب الأدنى توغل بقواته في المغرب الأوسط والأقصى ، وطارد القبائل المرتدة حتى سجلماسة ووادي درعة ، وكان موسى قد لاحق قبائل كتامة التي اختلطت بالقبائل المرتدة وتراجعت نحو الجنوب وتمكن من قتل رئيسها هناك ، ومن القبائل الأخرى هوارة وزناتة.

واستكمالاً لأعماله العسكرية في المغرب الأقصى ، فقد ارسل أبنه مروان على رأس خمسة آلاف مقاتل الى السوس الأقصى واستنزل المتمردين عن معقلهم وصد تمردهم.

وأرسل زرعة بن أبي مدرك على رأس قوة في بلاد المصامدة فصالحهم دون قتال.

ثم قاد بنفسه حملة الى طنجة وحررها بعد حصار شديد . وكانت بها قبائل من البتر والبرانس ومنها بث موسى بن نصير السرايا في اتجاهات مختلفة ، وتوغلت حتى السوس الأدنى فأطاعته قبائل المنطقة وولى عليهم من البربر أمورهم .

ثم عاد الى القيروان وترك على طنجة طارق بن زياد مع قوة عسكرية بلغ عدد افرادها ألفاً وسبعمائة مقاتل ازدادت فيما بعد حتى بلغت اثنى عشر ألفا من المغاربة وسبعة عشر ألفا من العرب الفاتحين. وترك موسى مع طارق بن زياد سبعة عشر من فقهاء العرب المسلمين وقرائهم. ليؤكد حرصه الشديد على الاهتمام بالثقافة الإسلامية وتعلم السكان لغة القرآن وتعزيز الإسلام في نفوسهم ، وهو تأكيد على سياسة الدولة العربية الإسلامية والهدف من الحملات العسكرية أساساً . لا كما يصوره الكتاب والمستشرقون من أن هدف الحملات هو من أجل المغانم والمكاسب الاقتصادية .

ويكون موسى بن نصير أول من نزل مدينة طنجة من قادة الفتح ، ووطأة خيله أرض المصامدة بعد عقبة بن نافه ، وأول قائد عربي مسلم ينسب إليه الفضل في إسلام أهل المغرب الأقصى والتمهيد لميلاد وتجمع إسلامي في المغرب يسود عناصره الوئام وتقودهم أهداف مشتركة ، وإن اشتراك المغاربة مع المشارقة في المجهود الحربي لعبور المضيق وفتح شبه جزيرة إبريا للإسلام لدليل على وحدة الهدف والمصير وعلى مدى التمازج بين جناحي الأمة وعلى استقرار الإسلام نهائياً في بيئة المغرب وتمكنه من نفوس السكان لدرجة اصبحوا يضعون أنفسهم وقوداً لنشر شعلته في الآفاق